

الباب الثالث

ترجمة الطبري والطبرسي ومنهجهما في التفسير

أ. ترجمة الإمام الطبري ومنهج تفسيره

١. إسمه ونسبه وولادته

هو محمد بن جرير بن يزيد الطبري الآملي. وكنيته أبو جعفر وينسب إلى أبيه فيقال: ابن جرير أو إلى بلده فيقال: الطبري. وألقابه كثيرة منها: الإمام، المجتهد، المفسر، المحدث، الحافظ، الفقيه، المؤرخ، العلامة اللغوي وغير ذلك.

ولد الطبري بمدينة آمل طبرستان في آخر سنة ٢٢٤ أو ٢٢٥ هـ. ونشأ بهذه المدينة، وكان أبوه يسيرا، أنفق عليه ليتعلم العلم. وكان في التبكير مشغولا في طلب العلم وقد حفظ القرآن وعمره سبع سنين، وأمّ الناس في الصلاة عند ثمان سنين من عمره. وبدأ يكتب الحديث من مشايخ طبرستان وماحولها وعمره تسع سنين. فحصل بها مبادئ العلوم وأساسها، ويستمرّ على الجادة حتى ينافس أقرانه، بل بزّهم كثيرا حتى شهدوا له بالتقدّم عليهم.^{٧٩}

^{٧٩} عليّ بن عبد العزيز بن عليّ الشبل، إمام المفسرين والمحدثين أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (الرياض:

مكتبة الرشد، ٢٠٠٤) ٢٤-٢٥.

ومات يوم السبت لأربع بقين من شوال سنة ٣١٠ كما ذكره الخطيب. ودفن ليلاً فاجتمع على جنازته من

لا يحصى عددهم إلا الله، وصلى على قبره عدة شهور ليلاً ونهاراً، ورثاه خلق كثير من أهل الدين والأدب.^{٨٠}

توفي رضي الله عنه سنة ٣١٠ هـ، في شهر شوال، لكن اختلفوا في اليوم والوقت، وشيّعت جنازته حيث

حضرها عدد لا يحصيه إلا الله، فاجتمع الناس ببغداد لما توفي من الأقطار حولها، وصلى عليه بداره، ودفن بها، وبقي

الناس يترددون على قبره مددا يصلون عليه من كثرتهم.^{٨١}

٢. دراسته ورحلته في طلب العلم

لما حصل من مبادئ العلوم في بلده وسمع من شيوخها، همّ بالإستزادة والرحلة لملاقاة الشيوخ والسماع منهم.

وقال محمد حسين الذهبي: قد رحل من بلده في طلب العلم وهو ابن اثنتي عشرة سنة.^{٨٢} فرحل إلى بلد الري ثم يم

وجهه شطر العراق لبغداد ممناً نفسه لقيا الإمام أحمد بن حنبل، ولكنه قبل وصوله إليها بقليل بلغه نبأ وفاته، فواصل

عزمه في الرحلة ولقي حفاظ العلماء في بغداد والبصرة والكوفة، فأدرك فيها محمد ابن بشر، وإسماعيل بن محمد

السدّي، وهناد بن السري، محمد بن المثنى وغيرهم.

^{٨٠} محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، المجلد الأول... ٥٠٠.

^{٨١} علي بن عبد العزيز بن علي الشبل، إمام المفسرين و المحدثين والمؤرخين أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ١٢١٠٠.

^{٨٢} محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون ، المجلد الأول... ١٤٧.

ثم أقبل نحو الشام فلقى في بيروت الإمام المقرئ العباس بن الوليد البيروتي، فأخذ عنه القراءة برواية الشاميين.

ثم توجه إلى مصر سنة ٢٣٥ هـ، ودخل الفسطاط ثم رجع إلى الشام مرة أخرى عاد بعدها إلى مصر سنة أربعة

وعشرين^٦، فدخل القاهرة وأخذ الفقه الشافعي عن الربيع بن سليمان المرادي، وإسماعيل بن إبراهيم المزني، ولقي فيها

محمد بن عبد الحكم المؤرخ المشهور، ولقي بها جماعة غيرهم.

محمد جرير الطبري من كبار أئمة أهل السنة والجماعة المتبعين منهج وعقيدة السلف الصالح في أنواع توحيد

الله ووبقية أصول الإيمان وما يتبعه من مسائله.

درس ابن جرير الفقه على أئمة المذاهب في زمانه، حيث تلقاهم في بغداد ومصر كالحسن بن محمد

الزعفراني، وأبي سعيد الإصطخري في بغداد، والربيع بن سليمان الأزدي، وإسماعيل بن يحيى المزني^{٨٣}.

ومن أهم شيوخه:

(١) محمد بن حميد الرازي التميمي (ت أربعة وعشرين^٨)

(٢) عمران بن موسى الليثي البصري (ت أربعة وعشرين^{١٠})

(٣) هناد بن السري التميمي الكوفي (ت أربعة وعشرين^٣)

(٤) محمد بن بشار العبدي بالبصري (ت ٢٥٢)

^{٨٣} علي بن عبد العزيز بن علي الشبل، إمام المفسرين والمحدثين أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ٣٢٠٠-٣٧.

٥) الربيع بن سليمان الأزدي (ت ٢٥٦)

٦) الشيخ العباس بن الوليد البيروني (٢٧٠)

٣. أقوال العلماء عن الطبري وتفسيره

كان ابن جرير الطبري أحد الأمة الأعلام، يحكم بقوله، ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره. فكان حافظاً لكتاب الله، بصيراً بالقرآن، عارفاً بالمعاني، فقيهاً في أحكام القرآن، عالماً بالسنن وطرقها، وصحيحها وسقيمها، وناسخها ومنسوخها، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المخالفين في الأحكام، ومسائل الحلال والحرام.^{٨٤} وله الكتاب المشهور في تاريخ الأمم والملوك، وكتاب في تفسير القرآن لم يصنف أحد مثله.^{٨٥}

وأثنى عليه الحافظ الذهبي فقال عنه: ثقة، صادق، حافظ، رأساً في التفسير، إماماً في الفقه والإجماع والإختلاف، علامة في التاريخ وأيام الناس، عارفاً بالقراءات وباللغة، وغير ذلك.^{٨٦}

وأفرغ الإمام الطبري حياته من المشاغل على العلم بجميعه، طالباً للعلم أولاً، استملاء من الشيوخ ورحلة إليهم، ثم تدريساً وإملاء وإقراء وتعليماً، وله تصانيف كثيرة منها:

^{٨٤} محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، المجلد الأول... ١٤٧-١٤٦.

^{٨٥} محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، المجلد الأول... ٥٠٠.

^{٨٦} علي بن عبد العزيز بن علي الشبل، إمام المفسرين والمحدثين أبو جعفر محمد بن جرير الطبري... ٢٩.

- (١) تفسيره الكبير المسمى: جامع البيان في تفسير القرآن.
- (٢) تاريخ الطبري المسمى: تاريخ الرسل والملوك.
- (٣) كتاب "تهذيب الآثار وتفصيل معاني الثابت عن رسول الله من الأخبار".
- (٤) كتاب "اختلاف الفقهاء".
- (٥) كتاب "أدب النفوس الجيدة والأخلاق النفيسة".
- (٦) كتاب "آداب القضاة".
- (٧) كتاب "بسيط الكلام في أحكام شرائع الإسلام".
- (٨) كتاب "التبصير في معالم الدين".
- (٩) كتاب "في عبارة الرؤيا".
- (١٠) كتاب "القراءات وتنزيل القرآن".

قال أبو بكر بن كامل: لم أر بعد أبي جعفر الطبري أجمع للعلم وكتب العلماء ومعرفة اختلاف الفقهاء

وتمكنه من العلوم منه، لأني أروض نفسي في عمل مسند عبد الله بن مسعود في حديث منه نظير ما عمله أبو جعفر

فما أحسن عمله ولا يستوي لي.^{٨٧}

تبوأ الطبري أعلى مكانة حتى نعت بإمام المفسرين، وأصبح تفسيره أوفر كتب التفسير المطبوعة وأشملها. فهو

في الجملة كتاب حافل لا يستغني عنه طالب علم في فهم كتاب الله سبحانه وتعالى، فلا تعجب من عظم الله ثناء

الأئمة عليه.^{٨٨}

٤. منهج تفسيره

المنهج التفسيري عند الطبري: هو المسلك الذي يتبعه المفسر في بيان المعاني، واستنباطها من الألفاظ وربط

بعضها ببعض، وذكر ما ورد في فيها من آثار، وإبراز ما تحمله من دلالات وأحكام، ومعطيات دينية وأدبية وغيرها،

تبعاً لاتجاه المفسر الفكري والمنهجي ووفق ثقافته وشخصيته فتنوع المناهج بحسب اختلاف المفسرين أنفسهم.

^{٨٧} محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، المجلد الأول... ١٧.

^{٨٨} علي بن عبد العزيز بن علي الشبل، إمام المفسرين والمحدثين والمؤرخين أبو جعفر محمد بن جرير الطبري... ٦٢٠٠.

ومنهجه في تفسير جامع البيان في تأويل القرآن ما يلي:

١. الطريق الذي يسلك فيه، أنه إذا أراد أن يفسر الآية من القرآن يقول: "القول في تأويل قوله تعالى

كذا وكذا".

٢. اعتماده على تفسير القرآن للقرآن فيستدل علي الآيات ببعضها، ثم يعتمد على المأثور من أقوال

النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين.

٣. ثم عرضه للأسانيد والأقوال المروية وترجيحه للمرويات، ولا يترك الحديث النبوي إن صح عنده، ولا

يفارق جميع آراء الصحابة إن اختلفوا في مسألة. إنما يتخير منها إن كانت الطرق متوازنة في الصحة

وقوة السند.

٤. وإحاطته بالناسخ والمنسوخ من الآيات ومعرفته لطرق الرواية صحيحها وسقيمها.

٥. اعتماده على الاستعمالات اللغوية بجانب الروايات المنقولة، ويستشهد بالشعر القديم، ويهتم

بالمذاهب النحوية، ويحتكم إلى المعروف من لغة العرب، ويعالج الأحكام الفقهية مجتهدا، فيذكر

أقوال العلماء ومذاهبهم، ويخلص من ذلك برأي يختاره لنفسه ويرجحه.^{٨٩}

^{٨٩} محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، المجلد الأول... ١٥١.

ب. ترجمة الإمام الطبرسي ومنهج تفسيره

١. اسمه ونسبه وولادته

هو أبو عليّ الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي المشهدي، الفاضل العالم المفسّر الفقيه المحدث الجليل.

والطبرسي نسبة إلى طبرستان كما قال محقق كتاب تفسير جوامع الجامع في مقدّمته^{٩٠} وهكذا في تعليق كتاب التفسير

والمفسرون لمحمد الذهبي. وهو الطبرسي من بيت عرف أهله بالعلم وسائر سلسلته وأقربائه من أكابر العلماء.

وهو من علماء القرن السادس الهجري، ولم تحدد المصادر تاريخ ولادته ومكانها، وكانت وفاته ليلة النحر

سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة من الهجرة.

٢. أقوال العلماء عن الطبرسي وتفسيره

قال الميرزا مصطفى التفرشي: أبو عليّ الطبرسي ثقة فاضل دين من أجلاء هذه الطائفة. وعن صاحب مقابس

الأنوار عند ذكره عن ألقاب العلماء: فقال أن أمين الإسلام الشيخ الأجلّ الأوحّد أبا عليّ الطبري قدوة المفسرين

وعمدة الفضلاء المتبحرين.^{٩١}

^{٩٠} الفضل بن حسن الطبرسي، تفسير جوامع الجامع، المجلد الأول... ٢١.

^{٩١} الفضل بن حسن الطبرسي، تفسير جوامع الجامع، الجزء الأول... ٢٢.

والطبرسي في تفسير يتأثر بفقه الإمامية الإثنا عشرية وآرائهم الإجتهدية. فهو يستشهد بكثير من الآيات

على صحة مذهبه، أو يردّ استدلال مخالفه بآيات القرآن على مذاهبهم، وهو في استدلاله ودفاعه وجدله، عنيف كل

الأنف، قوي إلى حد بعيد، بحيث يخلل لغير المدقق الخبير أن الحق بجانبه، والباطل بجانب من يخالفه.^{٩٢}

وقال حسين الذهبي: تفسير الطبرسي كتاب عظيم في بابه يدلّ على تبخّر صاحبه في فنون مختلفة من العلم

والمعرفة وهذا الكتاب يجري على الطريقة التي أوضحها لنا صاحبه في تناسق تام وترتيب جميل، وهو يجيد في كل ناحية

من النواحي التي يتكلم عنها. فإذا تكلم عن القراءات ووجوهها وعن المعاني اللغوية للمفردات وعن وجوه الإعراب

أجاد في كلها، وإذا شرح المعنى الإجمالي أوضح المراد، وإذا تكلم عن أسباب النزول وشرح القصص استوفى الأقوال

وأفاض، وإذا تكلم عن الأحكام تعرّض لمذاهب الفقهاء وجهر لمذهبه ونصره إن كانت هناك مخالفة منه للفقهاء.

والحقّ لنا ان الطبرسي ليس مغالي في تشيعه ولا متطرفا في عقيدته، كما هو شأن كثير من علماء الإمامية الإثنا

عشرية.

وله تفسير آخر غير مجمع البيان مختصرا شاملا لفوائد تفسيره الأول (مجمع البيان)، وسماه الجوامع، وله تفسير

ثالث أيضا أحصر من الأولين، وتصانيف أخرى في الفقه والكلام، وهو الطبرسي داخل في زمرة المجتهدين.^{٩٣}

^{٩٢} محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون ، الجزء الأول ٤٢١... .

^{٩٣} محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون ، المجلد الأول ٤١١... .

٣. منهج تفسيره

وفي هذا الموضوع بحث الباحث عن منهج تفسيره الذي نقل عن كتاب التفسير والمفسرون للذهبي وهو كما

يلي:

قدّم الطبرسي في أول مطلع كل سورة ذكر مكّيها ومدنيها، ثم ذكر الإختلاف في عدد آياتها، ثم ذكر

تلاوتها، ثم قدم في كل آية الإختلاف في القراءات، ثم ذكر العلل والإحتياجات، ثم ذكر العربية واللغات، ثم ذكر

الإعراب والمشكلات، ثم الأسباب والنزولات، ثم ذكر المعاني والأحكام والتأويلات، والقصص والجهات، ثم ذكر

انتظام الآيات.

وذكر في مقدّمة كتابه ما يتعلق بعلوم القرآن وجمعها في سبعة فنون:

جعل الفن الأول منها: في أعداد آي القرآن والفائدة من معرفتها.

والفن الثاني: في ذكر أسامي القراء المشهورين في الأمصار ورواتهم.

والفن الثالث: في ذكر التفسير والتأويل والمعنى، والتوفيق بين ماورد من الآيات والآثار من النهي عن التفسير

بالرأي وإباحته.

والفن الرابع: في ذكر أسامي القرآن.

والفن الخامس: في أشياء من علوم القرآن.

والفن السادس: في ذكر بعض ما جاء من الأخبار المشهورة في فضل القرآن.

والفن السابع: في ذكر ما يستحب للقارئ من تحسين اللفظ وتزيين الصوت بقراءة القرآن.^{٩٤}

^{٩٤} محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون ، الجزء الأول ٤١٤... .